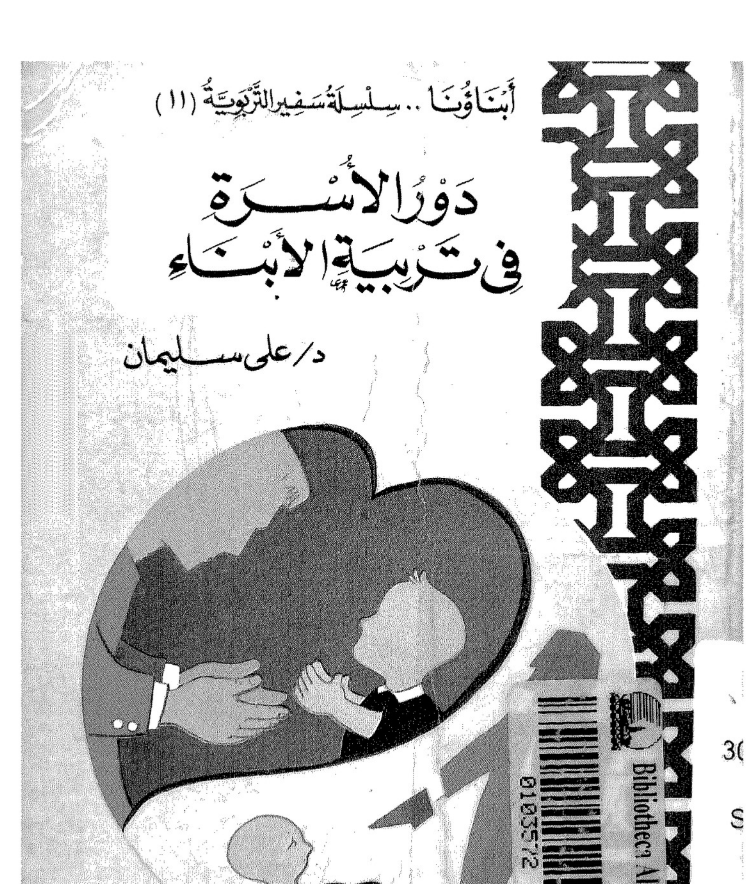
أَبْنَاؤُنَا .. سِلْسِلَةُ سَفِيرِ التَّرْبَوِيَّةُ (١١)

دَوْرُ الأُسْرَةِ فِي تَرْبِيَةِ الأَبْنَاءِ

د/ على سليمان



أبناؤنا .. سلسلة سفير التربوية

(١١)

دور الأســـرة فى تربية الأبناء

تأليف

أ.د. على سليمان

أستاذ الصحة النفسية – جامعة القاهرة

٥ ش جزيرة العرب – المهندسين – القاهرة. ص.ب: (٤٢٥) الدقى

الهيئة الاستشارية :

هيئة التحرير :

فهرست

الموضوع — الصفحة

مقدمة

تُعتبَر مـرحلة الطفولة من أهم مراحل حيـاة الإنسان ، ففى هذه المرحلة تنمـو القـدرات وتـتفـتح المـواهب ، حـيث قـابليـة الطفل المرتفـعة لـكل أنواع التوجـيـه والتشكـيل . وفى هذه المرحلة أيضًا توضع اللبنات الأولـى لشخـصيـته، وبالـتالى فـإنهـا تحـتل مكانة خاصة ، ذلك أن كل ما يكتسبه الطفل من قيم واتجاهات ومعارف هى التى تشكل مـا سيكون عليه مـستقـبل هذا الطفل النامى بإذن الله .

وخـبرات الطفـولة المختلفـة – النافع منهـا والضار – مـا هى إلا نتاج لعملية من العمليـات المهمة فى حياة الطفل ، وهى التى يُطلَق عليها اسم عمليـة التنشئة الاجتماعية أو الأسريـة أحيانًا ، أو عملية التربية أحـيانًا أخرى . وهذه الخبرات تؤثر دائـمًا فى حياة الطفل ، فهى خبرات قـد تيسر اكتساب خبـرات جديدة ، وقد تقف عائقًا مـانعًا لكل خـبـرة جـديـدة ، خـصـوصًا إذا كـانت تلك الخـبـرة تتعـارض أو تتناقض مع الخبـرات السابقة . وبالتـالى يدخل الطفل فى حـالة من الصراع مع خـبرات لا يـدرى عنها الكثير ، وكـأنه

يقاوم عدوا مجهولا ، فأساليب الرضاعة وطرق الفطام وأساليب الثواب والعقاب قد تكون نواة لتكوين اتجاهات عميقة الجذور يصعب تعديلها بعد ذلك .

وتمثل الأسرة فى الدراسات التربوية والنفسية والاجتماعية فى مجال الطفولة والتنشئة الاجتماعية دوراً مهما ، ذلك أن جهاز الضبط الاجتماعى - وهو أحد مكونات الجهاز النفسى فى الإنسان - ما هو إلا مركّب اجتماعى يكتسبه الطفل من خلال علاقته مع البيئة الاجتماعية والمادية ، كما أن الضمير - وهو أيضاً من مكونات الجهاز النفسى يُطلَق عليه أحياناً «النفس اللوامة» - عبارة عن مركّب اجتماعى يكتسبه الطفل من خلال مظاهر الضبط المتمثلة فى الأسرة (الأب والأم) ، وينمو جهاز الضبط الاجتماعى عند الطفل وشعوره بذاته المستقلة عن ذوات الآخرين، فيبدأ الطفل بتعرّف صفاته الظاهرة المميزة له عن الآخرين، ويندمج الصغير تدريجيا فى حياة الأسرة الاجتماعية ، ويتم ذلك من خلال اكتساب القيم الاجتماعية ، ومن هنا تظهر أهمية دور الأسرة فى حياة الطفل ، ذلك أنها هى البيئة الأولى

التى يبدأ حياته فيها ومنها .. ومن هنا أيضاً جاء اهتمام العلماء والباحثين بدراسة التنشئة الاجتماعية للطفل فى الأسرة وخارجها، حيث تقوم العلاقة بين الآباء والأبناء وطريقة معاملتهم لهم بدور مهم فى تشكيل شخصياتهم وتحقيق التوافق النفسى والاجتماعى . ويبدأ تأثير الأسرة في الطفل من خلال العلاقة الوثيقة التى تنشأ بين الأم والطفل ،ثم العلاقة بين الأب والطفل فى مرحلة لاحقة ، ثم تتسع دائرة العلاقة فيما بعد لتشمل العديد من أفراد الأسرة الكبار .

وسنعرض –على الصفحات التالية– لدور الأسرة فى تنشئة الأبناء ، مع عرض مبسط لطبيعة العلاقة بين الأم والطفل ، وكذلك العلاقة بين الأب والطفل . ثم ننتقل بعد ذلك إلى الحديث عن خصائص ومعوقات عملية التنشئة الاجتماعية الأسرية ، ودور المؤسسات الاجتماعية فى استكمال مسيرة عملية التطبيع الاجتماعى والتنشئة الأسرية ، وكذلك الحديث عن بعض العوامل المحددة للسلوك . ثم ننتقل إلى الحديث عن الإصابات النفسية، ثم نتناول الحرمان الأسرى ، واللعب فى التنشئة الأسرية ، وأخيراً دور أسئلة الأطفال فى هذه التنشئة ، ونرجو للقارئ العزيز أن

يجـد بين هذه الصـفـحـات والسطور الإجـابة الـتى ينشـدها عن تساؤلاته المختلفة .

وعلى الله قصد السبيل

د . على سليمان

الفصل الأول
التنشئة الأسرية
«مفهومها ووظيفتها»

تُعتبَر لحظة الولادة من أخطر لحظات حياة الوليد القادم إلى عالم جديد .

ولولا عناية الله –سبحانه وتعالى– بهذا الكائن الضعيف لوقع كل طفل وليد ضحية للخوف والقلق ، ولكن العناية الإلهية تسلب الطفل وعيه بتلك اللحظة ، لحظة الانفصال الحقيقى عن الأم ، لحظة الانتزاع من ذلك المكان الدافئ الآمن ، من بيته الهادئ، الذى عاش فيه ونما نموا سريعًا .

وتوضح الدراسات العملية أن كل طفل مولود لا يستطيع تعرف الأشياء المحيطة به . وإنما كل ما يشعر به هو الرغبة فى الدفء ، والغذاء ، وذلك الصدر الحنون الذى يمنحه الدفء والغذاء ، وهو صدر الأم .

فالأم تُعتبَر بالنسبة إلى وليدها هى الدفء والأمن ، وهى الغذاء

وكل شيء ، فهى مصدر الأمـان . وفى هذه المرحلة من العمر نجد أن الأشـياء تكتـسب معناها بالنـسبـة إلى الطفل الوليد من خـلال مدى ارتباطها بالإشباع أو بالإحبـاط اللذين قد يشعر بهما الطفل عن طريق خبراته الجسدية الحسية . إن واقع الطفل فى هذه المرحلة لا يتـعدى مـشـاعره الداخـلية وهو لا يدرى بالـعالم الخـارجى إلا مقدار أهميته له ..

ومع نمو الطفل وتقدمه فى العمر تنمو لديه القدرة على ملاحظة الأشياء كما هى فى الواقع .

وفى مـرحلة لاحـقـة من مـراحل نموه يعـرف الـطفل أن العطش واللبن والثدى والأم إن هى إلا أشـياء منفصلة عن بعضـها وليست شيئًا واحدًا كما كان يبدو له سابقًا .

يتعلم الطفل أن هناك أشـياء تمتلكها الأم وحـدها ، وأن وجود هذه الأشياء ليس مرتبطًا بوجوده هو ، بل إن لها وجودها المستقل عنه تمامًا . ويتعلم الطفل أسماء الأشياء المختلفة ، كما يتعلم طريقة التـعامل مع مكونات العـالم المحيط به ، وكـيفـية اسـتخـدام بعض

الأشـيـاء ، وكـيـفـيـة التـعـامل مع الناس، فـيـعـرف أن الأم تفـرح وتضـحك له وتداعـبـه عندما يأكـل ، وأنها تحـتـضنه وتحـمله بين ذراعيهـا عندما يبكى ، وأنها تثنى عليه وتمدحـه عندما يأتى بعمل ترغبه ، مثل التحكم فى عـملية الإخراج . ومع مرور الزمن تُصقل هذه الخبرات وتلتـحم مع بعضها ليكمل بعضـها بعضًا فى تكوين خبرة واحدة فـى عقل الطفل الصغير مؤداها : أنه طفل مـحبوب ؛ لأن له أمـا تحـبه ، ولأنه صـغـيـر وضـعـيف ، وجـمـيل وظريف .. فـالطفل فى هذه المرحلة يدرك أنه مـحبـوب من أمه ومن الآخـرين بسـبب الصفـات التى يتمـتع بها ، وأنه مـحبـوب من أمه بصـفة خاصة من أجل ذاته ووجوده .

وفى هذه المرحلة تحـب الأم طفلهـا بلا شـروط ، فـالطفل ليس بحاجة إلى أكثر من أن يكون مـوجودًا لينال حب الأم ورعايتها ، والأم فى حـيـاته تمثل كل شىء .. هى السـعـادة والخير والبـركـة والحـب والأمان ، فإذا افتقدها أو فقـدها أصبحت حياته جرداء بلا معنى . كـمـا أنه يمثل لهـا قرة عـينها ، فهى لا تكاد تـطيق بعده أو انفـصـاله عنهـا ، ومع ذلك فـهى تنمـيـه وتدفـعـه إلى الانفـصـال التـدريجى والاسـتـقـلال عنها ، وإن لم تفـعل ذلك فلن تكون أمـا

جيدة .

وينقلنا هذا إلى الدور الحقيقى الذى تقوم به الأم فى حياة طفلها الوليد، والدور الذى يقوم به الأب فى تنمية طفله وإعداده للحياة ، والدور الذى تقوم به الأسرة كلها - الأب والأم - والعلاقة بينهما من ناحية ، وبينهما وبين الطفل من ناحية أخرى فى حياة هذا الطفل ، ثم ما هو الدور الذى يقوم به المجتمع من خلال الثقافة فى تكوين شخصية الطفل النامى ؟

هذا الوليد إذا توافرت له الرعاية الحقيقية تحوّل ، مع النمو إلى كائن اجتماعى . وهذه العملية لا تتم هباءً ، ولابد من تخطيطها حتى تحقق هدفها .

ويطلق العلماء على هذه العملية اسماً عاما هو «التربية» ، واسماً خاصا هو «التنشئة الاجتماعية» واسماً أخص هو «التنشئة الأسرية» . فالتربية هى : عملية إعداد للنشء منذ البداية ، من خلالها ينتقل تراث المجتمع وقيمه وعاداته وتقاليده إلى الأبناء ، وتنتقل خلالها ثقافة المجتمع إلى أبنائه . والتربية عملية تستهدف تكامل شخصية الفرد النامى عضويا ومعرفيا ووجدانيا وسلوكيا

فى إطار اجتماعى معين . ومع تعقُّد الحياة أصبحت هناك مؤسسات تربوية للقيام بهذه المهمة الصعبة ، يُطلق عليها اسم مؤسسات التربية الموجهة والمقصودة. وتبدأ هذه المؤسسات بدور الحضانة والمدرسة وتنتهى بالجامعة .

التنشئة الاجتماعية : هى تلك العملية التى من خلالها يتحول الوليد إلى كائن اجتماعى فيتعلم ويلتزم بالقيم والمثل والأخلاق والمعايير الاجتماعية السائدة . وهذه العملية أساسية فى عملية التربية ، فالتنشئة الاجتماعية جزء من التربية المدرسية . إلا أن هذه العملية تتم فى إطار أوسع من إطار التربية المدرسية . فهى لا تتم فقط فى مؤسسات التعلم العام ، وإنما تتم بواسطة العديد من المؤسسات التى تتمثل فى المدارس وفى دور العبادة وفى كل ما تقدمه وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة ، وكذلك دور السينما والمسارح وغيرها . هذا كله بالإضافة إلى الأسرة باعتبارها المحضن الأول للتنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعى .

أما التنشئة الأسرية : فهى تلك العملية التى يقوم بها كل من الأم والأب حيال أطفالهما لإعدادهما للحياة ، ولا شك أن

دورهمـا فى السنوات الأولـى من حـياة طفلهـمـا من أهم الأدوار وأعظمهـا ؛ فلقد ثبت بما لا يدع مجـالا للشك أن اللبنات الأولى لشـخصـية الإنسـان إنما توضع فى هذه السنوات الأولى ، فإذا ما صلحت هذه اللبنات صلحت الشـخصـية ، وإذا ما فـسدت هذه اللبنات اهتزت الشخصية ، وانحرفت وتهاوت .

وبسبب هذه الأهميـة العظمى سيكون التركيـز هنا على عملية التنشـئـة الأسـرية بهـدف تـوضـيح دور هذه العـمليـة فى بناء الشخصية، وفى تحقيق السواء النفسى للأطفال .

ما المهام التى تقوم بها عملية التنشئة الأسرية ؟

يتفق العلماء على وجود ثلاث مهام أساسية تتمثل فيما يلى :

أ- التنشئـة عملية تحويل الولـيد الإنسانى إلى طفل اجتـماعى :
وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك ؛ فالوليد حديث الولادة مع أنه يحمل جمـيع الصفـات الوراثية والاسـتعدادات الإنسـانية ، فـإن جمـيعًا استعدادات كامنة ، ليس لها أية قيمة إلا إذا تحولت من استعدادات كامنة إلى سلوكيات ظاهرة ، وهذا لا يتم إلا من خلال الأسرة .

وقد دلت الأبحاث والدراسات على أن الأطفال الذين يفقدون ذويهم ، وتقسو عليهم الحياة يفقدون كثيراً من الصفات الإنسانية، ويحتفظون فقط بالصفات الفطرية والصفات الوراثية . فهم فى حياتهم أقرب إلى الحيوان منهم إلى الإنسان .

وقد ثبت أن هؤلاء الأطفال ينقصهم كثير من خبرات السلوك الاجتماعى والسلوك اللغوى والتفكير والقراءة والكتابة .

ب – التنشئة الأسرية عملية تعلم : فالوليد يتعلم تدريجيا كثيراً من الأشياء من البداية ، فهو يتعلم أن الأم مشتغلة عنه ، ويتعلم أن يضبط رغباته ونزعاته الفطرية ويتحمل الحرمان أو تأجيل الإشباع، فهو يبكى فى البداية كثيراً ولفترات زمنية طويلة ومتقاربة ، ثم بعد ذلك يدرك أنه لا مفرٌ من الانتظار ؛ لأن الأم حددت له أوقاتًا معينة للرضاع وللنظافة وللنوم ، وهكذا وبمقدار ما يتعلم الطفل التحكم فى رغباته وشهواته ، ويتعلم تأجيل الإشباع بمقدار ما تزداد فرصته فى الدخول إلى عالم المجتمع .. فيتعلم الطفل بعد ذلك التحكم فى فضلاته ، وأوقات التخلص من تلك الفضلات، وأماكن إخراجها ، ويتعلم النظافة والنظام ،

وارتداء الملابس ، والمشى ، والاستماع والإنصات ، ويتعلم اللغة (لغة الأم) ، ويتعلم الابتسام والدخول فى علاقات اجتماعية ، ويتعلم الكلام ، وتمييز الأصوات والألوان والأشخاص ، والقراءة والكتابة ، ويتعلم ما هو مقبول وما هو مرفوض ، ويتعلم كثيراً من الآداب والفضائل ، والقيم والأخلاق ، والعادات والتقاليد، ويكتسب المعايير المقبولة اجتماعيا ، وهى جميعاً تقع مسئوليتها فى البداية على الأم ، ثم فى فترة لاحقة على الأب . وسنفصل ذلك فيما بعد .

جـ- التنشئة الأسرية عملية إكساب الطفل الصفات المميزة لجنسه : فمن خلال التنشئة يتم تهيئة الطفل ليتبع نمطًا معينًا وسلوكًا خاصا بطبيعته وبجنسه ، وذلك من خلال الواجبات والمهام وأساليب اللعب وأدواته ومجالاته . وتبدأ هذه العملية من لحظة إطلاق اسمه عليه - ذكراً أو أنثى- اسماً مقبولا ومستحسنًا اجتماعيا أو مستهجنًا ومرفوضاً . وهذه التهيئة على نمط معين من السلوك هى التى ستحدد للطفل الدور الذى سيقوم به بعد ذلك .

الفصل الثانى
مقومات التنشئة الأسرية

هل تتأثر عملية التنشئة الأسرية بأية مؤثرات ؟

كثير من الدراسات العلمية وجدت أن هناك تفاوتًا فى التنشئة الاجتماعية والأسرية يرتبط بتفاوت المستوى الاقتصادى والاجتماعى ، وقد أوضحت هذه الدراسات أيضًا أن هذا التفاوت ينعكس على خصائص شخصية الطفل عندما يكبر ، وكذلك على أنماط السلوك التى يقوم بها ، مثل : العدوان والانطواء .

فالنشاط البدنى غير المتكامل يزداد عند الطفل الرضيع فى حالات الحرمان من الأم ومن الرضاعة . وتزداد حدة النشاط والتوتر كلما ازداد طول فترة الحرمان . ووجدت بعض الدراسات أن الفطام المبكر للطفل الرضيع وحرمانه من الرضاعة الطبيعية من ثدى الأم يسبب الاضطراب العصبى والنفسى الشديد ، كما أن أسلوب الفطام المفاجئ يسبب عديداً من الصراعات والاضطرابات فى شخصية الطفل .

ماذا يجب على الأم ؟

وحتى لا نعرض الطفل لمثل هذه الاضطرابات لابد أن نتيح له فرصة الرضاعة الطبيعية بما يتفق مع قول الله تعالى : ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ ولابد أن يتم الفطام بطريقة تدريجية ، مع ملاحظة أن التزمت الشديد فى مراعاة مواعيد الرضاعة ، وكذلك القسوة فى الفطام يجعلان من شخصية الطفل شخصية غير مستقلة ، فيظل فى حياته عالة على الآخرين ، وقد يصاب بدرجة عالية من المعاناه والقلق .

وماذا عن تدريب الطفل على النظافة والنظام ؟

الباحثون الذين اهتموا بدراسة أساليب تدريب الأم لطفلها على ضبط عملية الإخراج وأثرها فى خصائص الشخصية وجدوا أن الأسلوب الصارم فى هذه العملية يجعل الطفل يميل فيما بعد إلى التزمت فى النظافة والنظام مع الميل الشديد إلى تكرار الأفعال بطريقة قسرية قهرية . والأطفال من هذا النوع معرضون فيما بعد للإصابة بأمراض الوسواس القهرى ، أو ما يسمى فى علم النفس

«مرض الوسوسة» .

ومن ناحية أخرى يميل هذا النوع من الأطفال إلى ممارسة السلوك العدوانى المرتبط بعديد من المخاوف ، أى أن العدوان هنا يكون مجرد رد فعل للخوف الكامن فى الأعماق .

هل معنى ذلك أنه توجد علاقة وثيقة بين أسلوب التنشئة الأسرية والسلوكيات العدوانية عند الطفل؟

لقد وجد فى جميع الدراسات ارتباط أساسى بين أساليب التنشئة ودرجة العدوانية لدى الأطفال . ذلك أن التنشئة المحبطة تؤدى إلى ارتفاع الدوافع العدوانية عند الطفل . كما أن العدوانية ترتبط بمدى نبذ الوالدين للطفل أو المبالغة فى تدليله وحمايته . وينطبق الشىء نفسه على استخدام أسلوب الثواب والعقاب بدرجاته المختلفة فى تربية الطفل .

ينصح الإسلام الآباء بعدم المبادرة بالعقاب البدنى لأبنائهم ، حتى يجربوا ألوان العقاب الأخرى مثل : النظرة العاتبة ، فالكلمة الحازمة ، فإيقاف المصروف ، فمنع الفُسَح واللعب . فإن لم يُجْد

ذلك فإن الضرب مباح بالقدر الذى يحقق الهدف ، ولا يسبب الضرر ، ولا يثير الشعور بالعداء أو القسوة لدى الطفل . وبما أن العقاب مباح على النحو السابق ، فإن الثواب ضرورى أيضاً . وبذلك يساعد الأبوان الطفل على تنحية السلوكيات الضارة وتشجيع السلوكيات المرغوبة .

كيف يحقق الاباء التنشئة الصحيحة ؟

ولتحقيق قدر من التنشئة الاجتماعية الموجهة الناجحة نرى أنه من الضرورى للآباء أن يعرفوا مقدماً ما هى النتائج التى يمكن أن تترتب على تصرفاتهم مع أبنائهم ، ذلك أن العنف والقسوة مثلهما مثل التدليل والإهمال ، والحماية الزائدة تؤدى إلى الإضرار بشخصية الطفل ، فى حين أن قدراً من الدفء الأسرىّ –مع السماح بدرجة من الاستقلالية والاعتماد الموجه على النفس – يساعد الطفل على أن ينشأ بطريقة سوية تتحقق من خلالها جميع الخصائص والصفات الإيجابية فى الشخصية .

ما أهمية دور الأم فى التنشئة الأسرية ؟

إن حرمان الطفل من أمه الحقيقية أو مَن يقوم مكانها يعرض الطفل إلى انحراف فى نموه الوجدانى والانفعالى لا يمكن معه القيام بأى علاج .

وقد يعجز الطفل بعد ذلك فى مستقبل حياته عن تكوين علاقات إنسانية سليمة مع غيره من أفراد المجتمع ، وقد يصل الأمر إلى حد إصابة الطفل ببطء شديد فى نموه العقلى ، بل قد يصاب أحيانا باختلالات عضلية، وحركات لا إرادية ، أو لازمات عصبية . ولا يقتصر الأمر على الجانب الوجدانى فقط ، بل يمتد لتكوين بعض الأمراض العضوية الجسمية .

وإن دلَّ هذا على شىء فإنما يدل على أهمية وجود الأم بجانب طفلها حتى تحميه من كل ما يمكن أن يصيبه من أضرار . ومن هنا كان تفكير كثير من البلاد فى منح الأم الحاضنة إجازة طويلة لرعاية الطفل حتى يصل إلى درجة الاستقلال . وما أحوجنا نحن كمجتمع مسلم إلى الأخذ بهذا الاتجاه حتى نوفر لأبنائنا النمو

النفسى والعقلى والجسدى السليم ، لنكون حقا «خير أمة أخرِجَت للناس» .

ما أهمية دور الأب فى حياة الطفل ؟

لا شك أن أهميـة دور الأم في السنوات الأولى من عمـر الطفلَ قد تحجب معظم الدور المهم الذى يقوم به الأب وعلى الرغم من عدم وضوح هذا الدور بصورة مباشرة فى حياة الطفل فإن الأمن النفسى للأم ولطفلها يتوقف على دور الأب ومـدى علاقته بهما ، فإذا ارتضى الأب انشغـال زوجته بطفلها دون أن يشعـر بالغيرة ، فإنه يكون بذلك قـد قدم كثيراً من أجلها لمساعدتها على القـيام بواجبـات الأمـومـة . ولكن فى بعض الأحيـان يتـصـرف الأب بطريقة توصله أحيانًا إلى الضيق بطفله مما يجعل واجبات الأمومة عسيرة وشاقة .

وبتقدُّم الطفل في العمر تتناقص درجة اعتماده على الأم ويزداد دور الأب ، حـيـث يمثل الأب بالنـسبـة إلى طفله عـالم العـقل والمبتكرات والمخترعات ، كما يمثل القانون والنظام .

والأب يقـوم بدور المعلم المربى ، فـهـو يعـمل جـاهداً على أن يضىء لطفله الطريق الذى ينبغى عليه أن يشـقه فى حياته . وهناك وظيفة أخـرى مهمة للأب ، وهى وظيفته فى التنمـية الاجتمـاعية والاقتصادية . فالآباء يختلفون فى حبهم لأبنائهم عن الأمهات .. فالأم لا تفرق بين أبنائها ، فهى تكاد تحبهم جميعاً بدرجة واحدة. أما الأب فإنه لا يمنح حبه واهتمـامه إلا وفق شروط ومواصفات ، فقـانون الأب هو : «إننى أحبك يا بنى .. مـا دمت تحقق لى أملى فيك ، وطالما أنك تؤدى واجباتك على أحسن وجه» هذه العلاقة المشروطة بين الأب والطفل مهمة ، ولكنها ذات جانبين : أحدهما إيجابى والآخـر سلبى ، لكن الجانب السلبى هنا فى عدم حـصول الطفل على اهتـمام والده إلا إذا حـقق شرط الاستـحقـاق والجدارة بهـذا الاهتـمـام ، وهذا يعنى أنه من الممكن أن يفـقـد أحـد الأبناء اهتمام أبيه به إذا لم يلتزم بأداء ما عليه من واجبات .

إن العلاقة مع الأب تقوم على الامتثال لما تمليه الفضيلة والابتعاد عن الرذيلة ؛ لأنه سـيتـرتـب عليـها الـثواب أو العـقـاب . وهذا مـا يتضح لنا جليـا فى قصص القرآن الكريم . فـفى قصة سيدنا نوح

نراه يدعو ابنه إلى الركوب معه؛ لينضم إلى صفوف المؤمنين ، ولكن الابن الضال الذى التصق بأمه الكافرة أبى ذلك وقال لأبيه : ﴿سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء ! قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين﴾.

أما فى قصة سيدنا إبراهيم فإننا نجد موقفًا مختلفًا تمامًا . فإسماعيل -عليه السلام- كان هو الابن الوحيد لأبيه إبراهيم ، الذى أنجبه بعد حرمان طويل ، وكان هو الابن الوحيد لأمه هاجر. ومع ذلك عندما رأى سيدنا إبراهيم فى المنام أنه يذبح ابنه الوحيد رأى ضرورة فعل ذلك امتثالا لأوامر الله سبحانه وتعالى ، وأخبر ولده بذلك قائلا : ﴿يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك﴾ فكان رد الابن المؤمن : ﴿يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين﴾ ، وبذلك السلوك النبوى يحقق إسماعيل -عليه السلام- شروط النبوة والرسالة ، وهى الشروط نفسها التى يحققها إبراهيم -عليه السلام- عندما يستجيب لأمر ربه بذبح ابنه ؛ فيكون الجزاء بالفداء العظيم.

أما الجانب الإيجابى فى علاقة الطفل بالأب فهو على درجة

عـاليـة من الأهـميـــة ؛ فـالطفل الذى يستطيـع أن ينجـز هو الذى يستطيع الحصـول على علاقـة الحب والاهتمـام من الأب ، وذلك يغذى فى نفس الطفل القـدرة على التحكم الذاتى وعلى الاختيار الصعب بين الاحتمالات الممكنة .

عندمـا يصل الطفل إلى سن الرابعـة أو الخامسة من العـمر تبـدأ حاجته إلـى سلطة الأب وإلى حكـمته وتوجيهه . تقـوم الأم بمهمة توفـير الأمن والأمـان ، ويقوم الأب بمهـمة تعليم الطفل وتـوجيـهه ومناقـشـة المشكلات التى يواجـهـها، ومـساعـدته على حل هذه المشكلات . ومن هنا جاءت أيضًا كثير من البحوث لتؤكد أهمية دور المعلم المربى الرجل فى المدرسـة الابتدائيـة بدرجة تـفوق دور المرأة فى هذه المدرسـة ؛ نظرًا لطبيعـة هذه المرحلة وطبيـعة حـاجة التلامـيذ الصـغار إلى الضبط والتـوجيـه والنظام والقانون أكـثر من حاجتهم إلى الحماية والأمن والأمان .

ما دور الأم فى تنشئة طفلها ؟

قلنا إن للسنوات الأولى دورًا مهمـا فى حياة الطفل والأم معًا .

ولكن الأم الجيدة لا تحاول أن تبقى طفلها صغيراً ، وذلك عن طريق الحيلولة بينه وبين النمو الطبيعى السوى ، هذه الأم لا ينبغى أن تكافئ الطفل دائمًا على عجزه وعدم قدرته على الأداء السليم والإنجاز . فعليها أن تثق بقدرته وأن لا تكون قلقة دائمًا عليه ، وألا تبذر بذور القلق فى نفسه .

الأم الجيدة تساعد طفلها على تعلم الاعتماد على النفس وتعلم الاستقلال، وتدربه على الانفصال التدريجى عنها ؛ ليعتمد على نفسه وليستقل بذاته .

ما دور الأب فى تنشئة أبنائه ؟

إن علاقة الأب مع طفله يجب أن تكون علاقة قيادية موجهة ومرشدة للطفل توضح له السبب والأهداف والنتائج . ويجب أن يتميز الأب فى علاقته بطفله بالصبر والتسامح ، وألا يكون مخيفًا مهددًا أو متسلطًا متحكمًا . عليه أن يتعهد طفله بالرعاية ، وأن يبصره ويشعره بقوته الذاتية وبإمكاناته الخاصة . وعلى الأب أن يسمح لطفله بالمشاركة الإيجابية فى أعمال التخطيط والتوجيه ؛

حتى يتمكن الطفل من الوصول إلى درجة من النضج الذى يمكنه من الاستقلال العقلى . والنضج هنا يعنى تمكن الطفل النامى فى مرحلة لاحقة من استيعاب معايير الأب والأم بداخله ، والتى غالبًا ما تكون هى نفسها معايير المجتمع ، بحيث يتكون لدى الطفل ضمير خلقى .. فضمير الأمومة فى داخل الطفل يعطيه الثقة وعدم الخوف ، وضمير الأبوة يعلمه تحمل المسئولية . وكلما تقدم العمر بالطفل ازداد تأثير ضمير الأبوة على ضمير الأمومة ، ولكن لابد أن يتم ذلك بقدر ، ذلك أن الزيادة الكبيرة للضمير الأبوى على حساب ضمير الأمومة يجعل منه إنسانًا متزمتًا وآليا فى التعامل مع الآخرين ، فى حين أنه إذا ازداد ضمير الأمومة بدرجة كبيرة على ضمير الأبوة ، فإنه سيفقد القدرة على تحمل المسؤولية واتخاذ القرار ، ويكون ذلك سببًا فى تنحى القدرة على تنمية نفسه وذاته.

وهذا النوع من التنشئة هو الذى يساعد على تحقيق الصحة النفسية للطفل ؛ ذلك أن تعطل عملية التربية الصحيحة والتنشئة الأسرية يؤدى إلى عدم إمكان الوصول إلى درجة النضج المناسبة ، وهنا تكمن أسباب المرض النفسى.

الفصل الثالث
التنشئة الأسرية والصحة النفسية

دور الأب والأم :

تشير عديد من نتائج البحوث إلى أن المرض النفسى لدى الأولاد الذكور يرجع سببه إلى الحنان المبالغ فيه مع التدليل الزائد للطفل ، فإذا كان الأب ضعيف الشخصية وغير مهتم بالطفل ، فإن النتيجة الحتمية هنا أن يظل الولد مرتبطًا بأمه ارتباطًا وثيقًا ، كما يظل متعلقًا بها ، ولا يستطيع أن ينفصل عنها ،حتى فى الوقت الذى يجب عليه أن ينمى نفسه ويستقل بشخصيته.

وعندما يصل طفل فى مثل هذه الظروف إلى مرحلة النضج نجده إنسانًا بلا شخصية مستقلة ، ويظل متعلقًا بأمه شاعرًا بالعجز وعدم القدرة أمام المواقف ويظل بحاجة دائمة إلى إنسان آخر يرعاه ويحميه ويوجهه . إن ما ينقص هذا الطفل هو أن الأب لم يعطه صفات الأبوة ، وأهمها صفات النظام والتخطيط والاعتماد على النفس والاستقلال فى إدارة أموره بنفسه وفى

اتخاذ قراراته . إن مثل هذا الابن قد فقد الأب متمثلا في صفاته التي كان يجب أن يكتسبها منه . وفي مرحلة متقدمة قد نجده يبحث عن أبيه المفقود بين النساء والرجال . وعادة ما ينساق هذا الطفل إلى الأشخاص القساة الذين يتحكمون فيه ؛ لأنه وجد فيهم حزم الأب وقيادته التي افتقدها .

أما إذا كانت الأم من النوع الذي لا يحب الأطفال أو لا يشعر الطفل بحبها له وحنانها نحوه ، أو كانت من النوع القاسي الظالم ؛ فمن المتوقع أن تتحول رغبة الطفل من الحصول على اهتمام الأم إلى الحصول على اهتمام الأب . ويترتب على ذلك أن ينمو الطفل ولديه ضمير مستمد من الأب فقط . وهذا النوع من النمو سيؤدي إلى تنمية أسس القانون والنظام والسلطة بدرجة كبيرة ، مع نقص القدرة على احترام الآخرين أو الاهتمام بهم ، وكذلك نقص الشعور باحترام واهتمام الآخرين به . ويصبح هذا النمو أكثر حدة عندما يكون الأب متسلطًا وملتصقًا بالطفل . وتوصل العلماء إلى أن بعض الأمراض النفسية ، مثل «مرض الوسواس» ، يرجع السبب فيه إلى الارتباط بالأب فقط أكثر من

الارتبـــاط بالأم ، فـى حين ترتـبط أمـــراض أخـــرى ، مـــثل : «الهستريا»، و«الإدمـان» ، و«الاكتئـاب النفسى» ، و«السـرحان» ارتبـاطًا أسـاسـيـا بحـالات الارتبـاط بالأم فـقط مع انعـدام دور الأب.

ماذا يعنى كل ذلك ؟

يعنى أن كلا من الأم والأب يقوم بدور مـهم فى حياة الطفل ، كما أن طبيعة العلاقة بين الأم والأب لها دور مهم فى تطبيع الطفل وتنشئته .

فدور الأم أنثوى مرتبط بالحب والعطاء بلا حدود وبلا مقابل . وهذا ما يتعلمه الطفل ويتوقـعه ، فإذا ما حدث نوع من الخلط فى هذا الدور ، كـأن تحاول الأم القـيام بدور الرجل فإن الطفل يفقـد الثقة فى الأم وفى الحياة كلها.

هذا القصور يضىء لنا الضوء الأحمر ، أو يطلق لنا إنذارًا لكل من الأم والأب بدعوة جـادة إلى تمسك كل منهمـا بدوره ؛ حتى يتمكنا من تنشـئة أطفالهـما التنشئة السـوية . إن الزوجة الأم التى

تحاول أن تلغى شخصية زوجها فى البيت بين أطفالهما ، قد تضفى على شخصيتها قدرًا من القوة والأهمية ، ولكنها لن تستطيع أن تقوم بدورى الأم والأب معًا ؛ لأنهما متناقضان كما رأينا ، ومعنى ذلك أن يُحْرم الطفل إما من نموذج شخصية الأب الموجِّه أو من نموذج شخصية الأم الحنون المحبة . وهذا قد يسبب له ارتباكًا نفسيا ، وهذه العلاقة يُطلق عليها : العلاقة الناقصة بين الطفل والأم.

أما إذا كانت الأم ضعيفة الشخصية ، أو كان الأب من النوع المتسلط الذى يحرص على إثبات ذاته وإلغاء دور زوجته (الأم) ؛ فإن الأب يحاول فى هذه الحالة أن يقوم بالدورين معًا ، وبالتالى يفقد الطفل علاقته الحميمة مع أمه ، وبذلك فإنه يكتسب ضمير الأب فقط ، وقد يعانى من الأمراض النفسية التى أشرنا إليها فى الصفحات السابقة .

ما العائد الذى يحصل عليه الأبوان ؟

قلنا إن التنشئة الأسرية للطفل القائمة على الرعاية والحب إنما

تحفظ على الطفل حياته . والاهتمام بحياة الطفل الوليد له مظهران أساسيان :

الأول : هو توفير كل أنواع الرعاية والاهتمام والحب اللازمة للمحافظة على حياته .

أما الثاني : فينصبُّ على عملية التنشئة والتربية الجيدة ، وهذا يعنى جعل الطفل يحب الحياة ويعطيه الشعور بأن الحياة مهمة، وأنه يجب أن يعيش، وكذلك إشعاره بأن الطفولة شيء جميل ، سواء كان الطفل ذكرًا أو أنثى .

نرى المظهرين السابقين بوضوح فى قصة الخلق ، فقد خلق الله -سبحانه وتعالى - الكون كله قبل خلق آدم ، وسخر لآدم كل شيء ؛ ليحفظ عليه حياته .. خلقه فى أحسن تقويم ، وكرَّمه على سائر المخلوقات ؛ ليكون خليفة الله فى الأرض؛ ويشعره بقيمته وبأهمية حياته . هذه الأهمية تكاد تشبه تلك الأهمية التى تعطيها الأم لوليدها ، وإشعارها له بسعادتها بمَقْدِمِه ، وهذا بدوره يعطيه شعوراً بالرغبة فى الحياة وليس مجرد بقائه حيا.

إن كـان بإمكان كـل الأمـهـات أن يقـمن بإرضـاع أطفـالهن الصغـار ، فإن القليل منهن قـادرات على تقديم الإحـساس بالحـياة وبالجمال فيها لأطفالهن .

وحتى تتمكن الأم من ذلك يجب أن تكون أمـا سعيدة ، وهذا لا يتحـقق لكثيـر من الأمهات .. إن حب الأم للحـياة ينتـقل منها إلى وليدها بالمصاحبة، كما تنتقل إليه مخاوفها وقلقها من الحياة .

لننظر – مثلا – إلى مدى قلق الأمهات على أطفالهن أثناء السنة الدراسيـة وأثناء الامتحانات ، ومـدى انعكاس ذلك على الحالات النفـسيـة لهؤلاء الـتلامـيذ الصـغار . إن حب الأم لـلحيـاة وقلقهـا وخوفـها من المستقـبل يؤثر فى الطفل تأثيـراً كبيـراً ، وفى تكوين شخصيته في المستقـبل . وتبدو قمة الإعجاز فى حب الأم لطفلها ورعايـتها المـستـمرة له أثناء الطفـولة ، فكثيـر من الأطفال يلـقون الحب والاهتمام من الأمـهات طالما كانوا أطفالا صغـاراً عاجزين ، ولكنهم لا يلقون هذه الرعاية نفسها عندما يبدءون فى الاستقلال. وهنا ندعـو الأمهـات بأن ترتفع كل منهن فـوق ذاتها حـتى تعطى لحياة طفلها معنى وقيـمة .

إن واجب الأم هو مساعدة الطفل على الانفصال عنها حتى يستقل بذاته وبحياته ، وعليها أن تتحمل معاناة انفصاله عنها ، وكذلك مساعدته وتشجيعه على هذا الانفصال والاستقلال التدريجى .

ذلك أننا نجد فى بعض الحالات أن بعض الأمهات يقاومن انفصال أبنائهن عنهن ، ويحاولن الإبقاء عليهم أطفالا صغاراً عاجزين .

إن العائد الحقيقى للأم من تنشئتها لأطفالها هو سعادتها النفسية بهم ، والتضحية من أجلهم . أما العائد الحقيقى بالنسبة إلى الأب فهو أن الابن هو امتداد أبيه ، وبالتالى يحرص معظم الآباء على توفير كل أسباب التنشئة الأسرية الجيدة لأطفالهم حتى يكونوا امتداداً حقيقيا لهم .

إن تنشئة الأطفال تنشئة نفسية سليمة فى المساكن الضيقة أمر صعب جدا كما هو الحال فى الأسر كثيرة العدد التى تقيم فى غرفة واحدة أو غرفتين ؛ حيث لا توجد فرصة لاستقلال الأبناء

فى غرف خاصة بهم . ونحن نجد الآباء أنفسهم فى حيرة من أمرهم نتيجة ما يسود أبناءهم من حالات القلق والمتاعب والصعوبات التى يندر أن تأتى بمحض الصدفة ، ذلك أن التنشئة الصحيحة فى حاجة إلى الاستبصار المعرفى والوجدانى بطبيعة الطفل وبحاجاته النفسية والاجتماعية .

وإذا كان بمقدور كل من الأم والأب – بما لهما من طبع هادئ وروح سمحة بفضل عقيدتهما الدينية وفلسفتهما فى الحياة– أن يشيعا جو الطمأنينة بين أطفالهما ويعملا على إشباع حاجاتهم ، فإن أقصى ظروف الفقر والحرمان يمكن أن يجتازها الأطفال دون أن يصابوا بالأذى النفسى ، فى حين أن الآباء الذين يطلقون ألفاظًا مؤذية يملؤون نفوس أطفالهم بالخوف والفزع والرهبة على الرغم من عدم وجود سبب موضوعى لذلك . وكثيراً ما ينسى الآباء الأثر السيئ الذى تتركه أحاديثهم فى نفوس الأطفال ، مثل الحديث عن الكوارث والأزمات ، دون الإشارة إلى الحلول والإمكانات والمساعدات التى تقدمها الدولة لأفراد المجتمع .

ليس معنى ذلك أن يكف الآباء عن الحديث مع الأطفال ،

ولكن معناه أن الآثار النفسية التى يخلفها نوع العلاقة الأبوية الخاطئة هى التى تدوم وهى التى قد تدمر كل الخبرات التالية أو تعوق وصولها .

تلك الزهور الرقيقة - أطفالنا - يجب أن ننتقى معهم الكلمات ، ويجب أن نقوم أمامهم بأنواع السلوك الذى نرغب نحن فى أن يتعلموه ، وإذا حدث عكس ذلك فلا نلم إلا أنفسنا ، مع الأخذ فى الاعتبار أن الطفل -حتى فى عمره الصغير جدا وقبل أن يتكلم اللغة - يعى ما يدور حوله ، ولذلك علينا ألا نجرح مشاعره ، سواء بالقول أو بالفعل .

وسنعرض على الصفحات التالية بعض النماذج السلوكية للطفل وعلاقتها بأساليب التنشئة الاجتماعية والأسرية التى يتبناها الآباء مع الأطفال .

الفصل الرابع
التنشئة الأسرية ومصادر السلوك

ما مصادر السلوك الإنسانى ؟

وهل الوراثة هى المسؤول الأول أم البيئة ؟

كل التصرفات والسلوكيات التى تصدر عن الإنسان ليست مجرد استجابات أو ردود أفعال منعكسة بطريقة آلية ، وإنما هى نشاط نفسى وعقلى مركب له هدف معين يمكن تنميته وتحسينه .

والسلوك الإنسانى كله عبارة عن نتيجة لكل من العوامل الوراثية الحيوية والعوامل البيئية (الطبيعية والنفسية والثقافية) والعوامل الخاصة بالعمر الزمنى للإنسان ، أى أن النشاط النفسى الذى يتجلى فى صورة سلوك هو نتاج للتفاعل بين عوامل الوراثة والبيئة .

فالعوامل الحيوية تتأثر أساسًا بالمحددات الوراثية ، وتتأثر الوراثة بالموروثات التى تنتقل من الأبوين إلى الجنين لحظة الإخصاب . وهذه العوامل مهمة فى تكوين الشخصية الإنسانية ، وهى مسئولة

عن تشكيل أنواع معينة من السلوك ، فكل ما يمكن أن ينتقل من الوالدين – عن طريق الوراثة– إلى الأبناء هو المحددات الوراثية التى تحدد الشكل الذى ستكون عليه السمة أو الصفة فى الأبناء فيما بعد .

وقد اهتم العلماء بدراسة الوراثة لمعرفة الخصائص العقلية والشخصية لدى الإنسان ، وتوصلوا إلى وجود نمطين فى أى إنسان ، أحدهما : داخلى ثابت لا يتغير ، وهو مرتبط بالوراثة ، والآخر : خارجى قابل للتغيير ، وهو مرتبط بالبيئة . ويتفاعل النمط الداخلى الموروث مع النمط الخارجى البيئى ، أى تتفاعل الوراثة مع البيئة فى تحديد شخصية الإنسان ، ذلك أن البيئة تضع لنا الإمكانات المتاحة للنمو الحقيقى داخل الحدود المسموح بها من الوراثة . وهنا لا يمكن المقارنة بين الوراثة والبيئة بالقول بأن أيهما أهم من الآخر ؛ فجميع نتائج الدراسات تشير إلى أهمية كل منهما فى حياة الإنسان ، وأن العلاقة بينهما علاقة ديناميكية .

ونلاحظ أن أى نمط من السلوك يحتاج إلى درجة معينة من النمو ، وهذا لا يتاح إلا فى إطار النضج الزمنى أو درجة التقدم فى العمر للطفل .

الوراثة إذن تقدم الاستعدادات الفطرية التى يُتاح لها النمو والظهور فى البيئة ، وهذا لا يحدث إلا فى إطار البعد الزمنى ، أى عمر الإنسان ، فهناك أشياء لا يستطيع الطفل أن يقوم بها إلا إذا بلغ عمراً معيناً من الزمن ، رغم وجود الاستعدادات الفطرية الموروثة ، ورغم وجود الظروف البيئية التى تساعد على نمو هذه الاستعدادات .

ومعنى ذلك أن الفروق التى تظهر بين الأطفال حتى الأشقاء منهم ، والتى تبدو فى سلوكهم وفى خصائص شخصياتهم لا ترجع فقط إلى الاستعدادات الوراثية أو الطبيعية ، كما أنها لا ترجع فقط إلى العوامل البيئية، وإنما ترجع - كما قلنا - إلى التفاعل بين كل من عوامل الوراثة والبيئة .

ورغم أهمية العوامل الوراثية فى تحديد الاستعدادات والإمكانات ، فإن دور البيئة بدأ يحتل مكانًا أكثر أهمية ، خصوصًا فى الوقت الحالى . وتوصلت بعض الدراسات إلى أن الوزن النسبى للبيئة يصل إلى ٨٥٪ ، وهذا يلقى بدوره التبعة والمسئولية على الأسرة فى صياغة شخصيات أطفالهم .

وهنا سنحاول أن نعرض لبعض المشكلات التى يصادفها الآباء فى تنشئتهم لأطفالهم .

طفلى يثور ويغضب ويبكى ويدمر الأشياء .. ماذا أفعل معه؟

هذه التصرفات تدل على نمط من السلوك العدوانى ، وهذا مرجعه أساساً إليك يا سيدتى ، فإما أن تكونى قاسية عنيفة غاضبة لأسباب لا تتصل بالطفل ولكنها تنعكس عليه ، وإما أن تكونى مهملة له ، منفصلة عن عالمه الصغير ، ولم تحاولى أن تفهمى لغته . وإليك الحالة التالية :

تخرج «أم وليد» لعملها صباحًا ولا تعود إلا فى آخر النهار متعبة مجهدة ، تفتح باب حجرة طفلها وتنادى عليه ، يجرى الطفل نحوها فرحًا مادا إليها ذراعيه الصغيرتين ، ولكنها لا تعيره القدر الكافى من الاهتمام والرعاية والحب والحنان ، ولكن بدلا من ذلك تسأله بحدة : ماذا فعل ؟ ماذا خرب ودمر ؟ وهل شرب حليبه أم لا ؟ وهكذا تدخل معه فى دائرة من التحقيقات .

نلاحظ فى هذا الوقت أن الطفل يجرى نحو أمه بحب وشوق ولهفة ، لكنها تصده فلا يجد منها أى تفاعل ، فماذا يفعل ؟ يقف

بمفرده منزويًا فى أحد جوانب الحجرة والأم لا يهمها ذلك . تصرخ فيه لكى يأتى ويغير ملابسه لينام ، ولكنه لا يبالى بصراخها ، تنفعل الأم وتتقدم نحوه بوجه عابس وتشده بعنف ، بل قد تضربه لأنه لم يسمع كلامها ، وقد تحكى لباقى أفراد أسرته عن غبائه وعدم سماعه لكلامها .

هذه المجموعة من التصرفات هى السبب الحقيقى وراء كل سلوكيات الطفل التى تشكو منها الأم .

هل يمكن أن يتغير سلوك الطفل ؟

إن سلوك أطفالنا كما قلنا يرتبط بالحالة التى نعيشها فى بيوتنا؛ ولذلك تتغير تصرفات الطفل حسب الأحوال المحيطة به سلبًا أو إيجابًا ، فالطفل يتحول من طفل مسالم إلى طفل عدوانى، وفق أسلوب المعاملة التى يلقاها فى المنزل ، فإذا ما تغير هذا الأسلوب تغيرت تصرفات الطفل .

الفصل الخامس
التنشئة الأسرية والاضطرابات النفسية

نسمع كثيراً من يتحدثون عن الطفل المعقد ، وعن العقد النفسية.

هل توجد بالفعل عقد نفسية ؟ وإن وجدت ، فهل لها علاقة بالتنشئة الاجتماعية ؟

العقدة النفسية هى اضطرابات نفسية تصيب البناء العام لشخصية الطفل فى ظروف تنشئته الأولى ، وهى تنتج عن خبرات معينة يمر بها الطفل تكون هى السبب فى إصابته بهذه العقدة أو تلك .

وهناك عديد من الاضطرابات (العقد) النفسية التى تنتج عن الأساليب الخاطئة فى التنشئة التى يقوم بها الآباء ، وبخاصة عندما يكون الآباء أنفسهم مصابين بالاضطراب النفسى . وهذه الحالة تتسبب فى خلق عديد من الإصابات النفسية وفى إشاعة الاضطراب فى حياة أطفالهم .

سنعرض هنا لبعض الاضطرابات النفسية التى تصيب الأطفال بسبب التنشئة الاجتماعية والأسرية الخاطئة .

الشعور بالذنب :

ومن أهم أعراضه : الرغبة فى العقاب الذاتى ، كما يتمثل فى الحرص على الانتقام والميل إلى تنظيم الفشل بشكل قد لا يخلو من التناقض الظاهرى . وحينما يصطنع الآباء فى تنشئتهم لأطفالهم طريقة التأنيب المستمر فإن هذه الطريقة التربوية تحدث لدى الطفل ضرباً من الشعور المرضى بالذنب والإثم . وعادة ما يستخدم الآباء بعض عبارات التهديد واللوم والأوامر والنواهى ، وقد تزداد المسألة خطورة إذا عمد الآباء والأمهات إلى إخفاء صفة سالبة لبعض الأخطاء البسيطة التى قد يرتكبها الطفل ، وقد يعاقبون الطفل بأساليب قاسية ويهددونه بعقوبة الحبس أو الضرب حتى الموت ؛ مما قد يسبب إصابته باضطرابات نفسية شديدة .

الشعور بالنقص :

ومن أهم أعراضه : الشعور المرضى بالخجل والخوف والابتعاد

عن الآخرين ، والأطفال الذين يعانون من هذه الإصابة النفسية يتجنبون الناس وينزوون بعيداً حتى عن رفاق اللعب ، ويشعرون بالعجز والفشل . وينمى الآباء هذه الإصابات فى الأطفال من حيث لا يدرون حينما يلجؤون دائمًا إلى أساليب اللوم والتعنيف والاستهزاء والسخرية من الطفل . وهذه أساليب رديئة فى التنشئة الاجتماعية وهدامة لشخصية الطفل أو الطفلة .

لا شك أن الآباء إنما يريدون بأساليبهم التربوية وبالعبارات اللائقة أن يستحثوا أطفالهم على تحسين سلوكياتهم ، ولكن الأبناء فى أعمارهم المبكرة لا يكادون يدركون الدلالات التربوية لعملية التنشئة هذه ، ومن ثم تكون النتيجة عكسية . ويلاحظ أن المفارقات التى يعقدها الآباء بين الابن وإخوته ، أو بين الطفل وغيره من الأطفال إنما تؤدى إلى توليد الشعور بالنقص عند الأبناء الأبرياء .

وبدلا من ذلك لابد أن يبدأ الآباء باستخدام أساليب التوجيه الموجب ، وتقديم النماذج الجيدة ، وتقديم التشجيع المادى والمعنوى ، وأن يحرصوا على مقارنة الطفل بنفسه بدلا من مقارنته بغيره ، والإطراء على التغيرات الإيجابية والتحسن الذى

حدث فى سلوك الطفل .

الغيرة المرضية :

ويحدث هذا الشعور بسبب ضعف الإيمان بالله والتنافس غير البرىء الذى يحدث بين الإخوة . والمثال التاريخى لهذه الغيرة المرضية ما حدث بين قابيل وهابيل حين قدَّم كل منهما قربانًا فتُقُبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، فهدد أخاه بالقتل ، وتحول التهديد إلى تنفيذ ، فقتله بالفعل .

وليس بغائب عنا ماحدث بين سيدنا يوسف – عليه السلام – وإخوته ﴿ إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين . قال يابنى لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدًا إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ وقال إخوة يوسف : ﴿ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفى ضلال مبين . اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضًا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قومًا صالحين ﴾ .

وهكذا كانت المؤامرة التى دبرها الإخوة بسبب الإصابة بمرض الغيرة . وتتولد الغيرة المرضية أيضًا بسبب التنافس البغيض بين

الأخـوة والأخوات . وهناك التنافس الشهـيـر عند الطفل الرضـيع نفســه الذى لا يتحمل رؤية أمـه وهى ترضع طفلا آخـر . وكذلك الطفل الذى لا يتحمل رؤية أمه وهى ترضع أخـاه الأصغر ، فيلجأ إلى تمثيل دور الطفولة حتى يحصل على الاهتمام نـفسـه . وقد يلجـأ إلى إيذاء الأخ الأصغـر بحـجة أنه يداعـبه ويلاعبـه . وهنا يجب على الوالديـن أن يلاحظا أن الاهتـمـام الزائد الذى يعطيـانه لأحد الأبناء يكون ذا أثر سيئ فى باقى الأبناء ؛ لأنه يولد الغيرة .

وقد يـلجأ الآباء إلى طريقـة التنافس ؛ رغبـة منهم فى تشجـيع أطفـالهم . ولكن الحـقيـقـة أن هذه الطريقة تشيع روح الكراهيـة والبغضـاء بين الأخوة الأشقاء ؛ ذلك أن الشـعور الطبيعى بـالغيرة يتحول إلى اضطراب نفسى عندما يلجـأ الأبوان إلى معاقبة الطفل لأنه يغار ، أو حينما يتعمدان نبذه وإهماله . وقد يتمثل ذلك أيضًا فى سلوك الأم عندما تمنح طفلها الأصغر كل لعب طفلها الأكبر ، أو تعاقب الطفل الأكبر لأنه لم يرع أخاه الأصغر .

الشعور بالعجز النفسى :

ويعنى الشـعـور النفسى بالعـجـز عن إثبـات الذات وتأكيـدها

وعدم القـدرة على تحمل المسؤولـية واتخاذ القـرار . ويحدث ذلك بسبب التنشئة الاجتمـاعية الوالـدية الخاطئة ، والتى تجـعل الأبناء الذكـور والإناث عاجـزين عن تقبل أنفسـهم وعن إثبـات ذواتهم والاستمـتاع بحـياتهم . فتزويد الأولاد والبنات بنوع من القـيم والمبادئ التى تشعـرهم بالنقص والعـجز تجـعل كـلا منهم لا يكاد يتقبل دوره الاجتـماعى والنفـسى . وكم من الأولاد الذكـور من يتخذون أمهاتهم مثلا أعلى ؛ بحيث لم تعد الأنوثة فاصلا ذا قيمة فى نظرهم . وكم من إناث يرفضن أنوثتـهن ؛ لأنها تعنى الضعف بالنسبة إليهن .

إن أسلوب التنشئـة الاجتمـاعية الذى يعتـمد على الغيـرة يعوق تقـدم الطفل ونموه فى الاتجاه السـليم ويحول دون استقـلاله وشق طريقـه فى الحيـاة . والأفـضل فى هذه الحالات أن نـساعـد أبناءنا على الاستقـلال والاعتماد على الذات ، وأن نمد إليـهم يد العون بما لا يعوق نمو شخصيتهم المستقلة المعنوية.

وبعض الآباء الذين يصرون على توفيـر الحماية الزائدة لأطفالهم والخوف الشديد عليـهم ، يحـولون بين أبنائهم وبين النمـو السليم والاستـقلال. وبعض الآباء الذين يفـرضـون على أبنائهم الذكـور

ملابس الإناث لحمايتهم من الحسد أحيانًا ، إنما يوصلونهم إلى الذوبان فى دور الأنثى . وليس ببعيد عنا الحالات التى يطلب فيها الذكور بمحض إرادتهم التحول إلى إناث أو العكس .

القلق النفسي :

وكما سبق أن قلنا إن الشعور بالأمن يُعتبر من أهم الحاجات التى يحتاج إليها الطفل ، والشعور بالأمن هو الذى يساعد الطفل على الاستقلال والتحرر من الخوف وبالذات الفوبيات أو المخاوف المرضية . إن التنشئة الاجتماعية التى تقوم على الحماية الزائدة من الآباء ، وعلى القلق الزائد على الأبناء ، إنما تسبب لدى الطفل الإصابة النفسية بالخوف والقلق . وقد يزرع الآباء فى نفوس أبنائهم مشاعر الخوف والرعب من مجرد سرد الأحداث المؤلمة وأحداث النكبات والكوارث دون تقديم الحلول . وقد سبق أن أشرنا إلي ذلك . وبالتالى من الضرورى أن يعمل الآباء فى تنشئتهم لأبنائهم على بث روح الطمأنينة والأمن والثقة لدى الأبناء وبالحياة وبالمستقبل والثقة بالآخرين ، وبالتالى نستطيع نزع بذور الخوف والقلق من أعماق الطفل ، كما أننا بحاجة إلى

أن تتم التنشئة الاجتماعية الوالدية فى مناخ مشبع بجو الحب والبهجة والدفء . فإذا ماحدث وتصدعت العلاقة بين الأم وطفلها فإن هذا التصدع تنتج عنه تشققات تسرى فى جميع أوصال الحياة النفسية للطفل ؛ لأنه يزعزع ثقته بنفسه وبالآخرين. إن أى نوع من التنشئة الوالدية تقوم به الأسرة يشيع فى الطفل نوعًا من الخوف والقلق وعدم الثقة بالمستقبل، والذعر والهلع من احتمالات لم تحدث بعد . ولابد أن تكون نتيجته الحتمية إصابة الطفل بمرض الخوف والقلق .

الكذب المرضى :

ولا شك أن الكذب من الأمراض النفسية التى تصيب الطفل بسبب خطأ التنشئة الاجتماعية (الوالدية) . فالطفل الذى تعاقبه أمه لأنه ذكر الحقيقة سيتعلم درسًا مهما ، وهو ألا يذكر الحقيقة مطلقًا، خصوصًا عندما يكذب فى المرة الأولى ويؤتى الكذب ثماره اليانعة فى نجاة الطفل من اللوم ومن العقاب والتأنيب . فى هذه الحالة يتعلم الطفل من أمه أن يكون كاذبًا أو كذابًا ؛ لأنه لم يجد من الصدق إلا الاستهجان والعقاب ، فى حين أنه حصل من الكذب على مقابل جيد . وبالتالى لابد للآباء أن يعلموا أن

سلوكهم مع أبنائهم محسوب عليهم أو لهم ، فإذا لم يحسنوا استخدام أساليب الثواب والعقاب فإنهم إنما يسيئون إلى أطفالهم أيما إساءة . ومن ناحية أخرى إذا كذب الطفل ليحصل على شيء ما وأثمر هذا الأسلوب، فإنه سيستخدمه بعد ذلك كلما أراد الحصول على أى شيء . ومن هنا تأتى أهمية أن تتم تنشئة الأطفال فى بيئة صادقة قولا وعملا . وعلى الآباء أن يبتعدوا عن الإسراف فى القسوة على الأبناء حتى لا يلجؤوا بعد ذلك إلى الكذب بسبب الخوف .

مرض السرقة:

والسرقة لها دوافعها النفسية التى تكمن أساسًا فى حب التملك، أو فى الرغبة فى الانتقام من الغير أو تهدف إلى إشباع رغبة أو ميل لدى صاحبها.

والتنشئة الاجتماعية الجيدة التى تقوم على إشباع رغبات الأطفال المشروعة بطريقة جيدة تباعد بينهم وبين الإصابة النفسية بمرض السرقة ، وذلك أن الحرمان الشديد والشعور بضغوط هذا الحرمان يدفعان الطفل إلى مد يده ليسرق لأول مرة ؛ ليشبع الرغبة التى حرمه أبواه من إشباعها .

الـفـصـل الـسـادس
التنشئة الاجتماعية والحرمان الأسرى

ماذا يحدث لو حُرم الطفل من أحد والديه أو كليهما ؟

قلنا فى الفصول السابقة إن الأسرة هى الحاضنة الأولى التى ينشأ الطفل فى كنفها ويتفاعل مع أعضائها ، وهى التى تسهم بأكبر قدر من الإشراف على نمو الطفل وتكوين شخصيته وتوجيه سلوكه . وتسعى الأسرة إلى تحقيق الطمأنينة لأفرادها . وفى هذا الجو الآمن تبدأ العلاقات الاجتماعية للطفل ، فيكتسب الشعور بقيمته وبذاته مع أفراد أسرته . وفى هذا الجو تتكون خبراته الأولى بالحب والحماية والأمن والطمأنينة ، ويزداد وعيه بذاته ، كما يزداد تفاعله مع أفراد الأسرة المحيطة به . وهكذا تتبلور شخصية الطفل فى جو صحى .

ولكن هذا الجو لا يتوافر دائمًا ، ففى كثير من الأحيان يحدث أن يُحرم الطفل الصغير من أحد والديه ، أو من كليهما ؛ لأسباب خارجة عن الإرادة ، فقد يفقدهما بالموت . وبالتالى لابد أن يتوفر على رعايته من يحل محلهما ويعوضه عن هذا الحرمان .

وهناك حالات أخرى يُحرم فيها الطفل من أمه بسبب سفرها للعمل فى مكان قصى ، فيتربى فى كنف الوالد وحده، الذى قد لا يحسن تنشئته وتربيته فيُصاب بالاضطراب النفسى .

وفى حالات أخرى يُحرم فيها الطفل من أبيه بسبب سفره للعمل فى مكان بعيد كما هو فى حالة العمالة المهاجرة ، وبالتالى يفقد الطفل القدوة المتمثلة فى شخصية الأب الذى يمثل النظام والقانون كما قلنا . وهناك حالات يحرم فيها الطفل من والده الذى يعيش معه فى السكن نفسه بسبب دكتاتورية الأم ، وعدم قدرة الأب على ممارسة دوره الطبيعى فى تربية ابنه، أو بسبب انشغاله الشديد فى عديد من الأعمال التى تستغرق نهاره وجزءاً كبيراً من ليله . فلم يزد البيت بالنسبة إليه على كونه مأوى للنوم يعود إليه متأخراً ويغادره مبكراً دون أن يراه الطفل .

وقد يُحرم الطفل من الأم وحنانها بسبب دكتاتورية الأب وتسلطه وعدم إتاحة الفرصة للأم للقيام بدورها الطبيعى حيال الطفل.

وقد بينت عديد من الدراسات أهمية تواجد الأم فى حياة

الطفل ، وأن حرمان الطفل من أمه لفترة تصل إلى أسبوعين يفقده المناعة الطبيعية ، ويُصاب بعديد من الأمراض إذا كان فى سن الرضاعة . وإذا زادت فترة الحرمان لتصل إلى حوالى أربعة أشهر يُصاب الطفل بالاكتئاب النفسى ويفقد شهيته للرضاعة، وقد ينتهى به الحال إلى الموت . وإذا قُدِّر له أن يعيش فإنه يعيش فى حالة من المعاناة من المرض النفسى أو العقلى .

وأظهرت كثير من الدراسات أن الحرمان من الأب لا يكاد يقل خطورة عن الحرمان من الأم ، فكثير من الأطفال الذين حرموا من آبائهم ساءت حالاتهم النفسية وفقدوا السيطرة على أنفسهم ، فمنهم من يعانى من حالات الانطواء والاكتئاب النفسى ، ومنهم من هم أكبر سنا فانجرفوا إلى عالم المخدرات والهلاوس ، ومنهم من بدأ يمارس الجريمة كنوع من عقاب المجتمع وعقاب الذات .

وإلى جانب ذلك أثبتت نتائج الدراسات أن الحرمان من الأب كمصدر للسلطة والقانون والنظام يؤدى إلى إصابة الطفل بتأخر نموه العقلى والمعرفى، وبالتالى التأخر الدراسى . ويعانى مثل هؤلاء الأطفال من مشاعر التمركز حول الذات والانسحاب والانطواء والسلبية ، بالإضافة إلى بعض أنواع السلوك العدوانى والتبول

اللاإرادى ، مع صعوبات فى التفاعل الاجتماعى بسبب صعوبات اللغة والكلام .

وفى بحث أجرى عن أساليب التنشئة الاجتماعية للأطفال فى دول المهجر ، وبالذات فى ألمانيا ، وجد أن الآباء أنفسهم يقعون فى دائرة الصراع بين المحافظة على تقاليد المجتمع الأصلى ولغته وثقافته ، وبين ثقافة المجتمع الجديد ، وأن الأبناء يقعون أيضا فى دائرة الصراع بين عادات وتقاليد وثقافة آبائهم ولغتهم القومية ، وبين عادات وتقاليد وثقافة ولغة المجتمع الجديد . ويترتب على ذلك حدوث واحد من ثلاثة : الأطفال الصغار يتشبعون بثقافة وتقاليد ولغة المجتمع الجديد ، ويغتربون بدرجة كبيرة عن ثقافة مجتمع آبائهم . أما الأطفال الذين وصلوا إلى سن الدراسة وقد تشربوا قدراً من ثقافة مجتمع آبائهم قبل أن ينتقلوا إلى هذا المجتمع الجديد ؛ فإنهم يظلون فى حالة من الصراع الرافض إلى حد ما للثقافة الجديدة . وقد يعانون من التخلف الدراسى وصعوبات التعلم . أما الأطفال الأكبر قليلا والذين كانوا قد التحقوا بالمدرسة الابتدائية فى مجتمعهم الأصلى قبل رحيل آبائهم إلى المجتمع الجديد ؛ فإن معاناتهم أشد ؛ ذلك لأنهم أشد تمسكًا بثقافتهم ،

وهم فى الوقت نفسه لا يستطيعون الالتحاق بالمستوى نفسه الذى كان يجب أن يلتحقوا به فى مدرسة الوطن ، مع عجزهم اللغوى، فهم لا يجيدون اللغة الجديدة ، وبالتالى لابد أن يلتحقوا بصفوف دراسية أقل .

أما عن الحالة النفسية لهذه الفئات الثلاث ، فقد كانت مضطربة إلى أقصى درجة ، فقد وجد الباحث أن معظم الأطفال أصيبوا بحالة من الانسحابية والانطواء والسلبية ، بحيث أصبحوا أكثر استسلامًا وأشد خوفًا من الضغوط والقيود الاجتماعية التى تقتضيها الثقافة الجديدة ، مع عدم القدرة على التوافق النفسى والاجتماعى مع هذا الواقع الجديد ، ومع تزايد الصراعات بينهم وبين آبائهم ؛ بسبب اختلاف الثقافات . وقد أدى كل ذلك إلى زيادة الوحدة النفسية والعزلة والشعور بالاغتراب النفسى .

وقد تابع المؤلف عددًا من هؤلاء الأطفال بعد عودة أسرهم إلى أرض الوطن والتحاقهم بالمدارس المصرية ، فوجد أنهم يبدؤون مرة أخرى من نقطة الصفر ، وأنهم رافضون لثقافتهم القومية التى حرموا منها فترة من الزمن بسبب ضعف مستواهم اللغوى ، وشعورهم بالاختلاف الكبير بين ثقافتهم التى عادوا إليها ،

والثقافة التى قدموا منها .

وقد لوحـظ فى هذه الدراسة أن الإناث أكثر انصياعاً وتقبلا لثقافـة الوطن التى تُعتبر جـديدة عليهن ، فهن سريـعات التوافق ، فى حين أن الذكـور يحتـاجـون إلى وقـت أطول . إلا أنه لوحظ بصفة عامة أن الاضطرابات النفسية التى كانوا يعانون منها بدأت تخف حدتـها وتزول تدريجيـا . وهذا يؤكد أهمـية دور التنشئة الاجتماعـية والأُسرية فى جو اجتماعى يسـاعد على النمو النفسى السليم .

الفصل السابع
التنشئة الاجتماعية واللعب

لا شك أن اللعب من أهم الأساليب التى يستطيع الآباء أن ينقلوا ما يريدون توصيله إلى أطفالهم من خلالها ؛ كما أنه من أهم الأساليب التى تساعد الطفل على التعبير عن ذاته ، خصوصاً وأنه مازال فى مرحلة يعانى فيها من نقص القدرة على التعبير ومن نقص الثروة اللغوية .

واللعب هو ذلك النشاط الذى يقوم به الإنسان ليروّح عن نفسه ، ويحصل -عن طريقه- على الإحساس بالمتعة . وقد يكون اللعب من النوع الهادئ البسيط ، وقد يكون من النوع المليء بالحركة والنشاط . وبالطبع فإن لكل مرحلة من مراحل العمر أساليب اللعب التى تناسبها. ويعتمد طول الوقت المخصص للعب على عمر الطفل وعلى جنسه وصحته ومدى الثقة التى يحصل عليها من اللعب ، ومدى قدرته على الاستغراق فى اللعب . ويميل الأطفال الأصحاء ذوو التوافق النفسى الجيد إلى اللعب الحركى النشيط فى سنوات طفولتهم الأولى ، فى حين يميلون بعد ذلك إلى اللغب الهادئ مع التقدم فى العمر .

هل يختلف لعب الأطفال عن لعب الكبار ؟

نعم ، توجد فروق . ويمكن أن نوجز ذلك فيما يلى :

١ – يتبع اللعب نمطًا من النمو التطورى نستطيع تعرفه ، فمنذ الطفولة المبكرة وحتى سنوات الرشد تكون بعض أنواع اللعب أكثر شيوعًا فى بعض الأعمار ، بغض النظر عن البيئة التى يعيش فيها الطفل وجنسه ومستواه الاقتصادى والاجتماعى . فالمرحلة الاكتشافية تكون فى السنة الأولى من العمر ، ومرحلة الألعاب تبدأ فى السنة الثانية ، وتصل إلى قمتها فى حوالى السنة السابعة تقريبًا ، ثم تبدأ فى التناقص بعد ذلك . وتبدأ مرحلة اللعب الجماعى مع دخول المدرسة ، وتستمر حتى بداية المراهقة .

٢ – يتناقص نشاط الطفل مع التقدم فى العمر ، ويرجع ذلك إلى أن الطفل لم يعد لديه الوقت الكثير ليقضيه فى اللعب ؛ بسبب الواجبات المدرسية والمنزلية ، كما تظهر لديه اهتمامات معينة ، فيركز انتباهه على نشاط معين وليس على عدد مختلف من الأنشطة .

٣ – يتناقص عدد رفاق اللعب بازدياد العمر ، فالطفل أصبح

أكثر قدرة على الانتقاء ، وأصبح للعضوية فى جماعة الرفاق شروط خاصة .

٤ - تظهر الفروق بين لعب الأطفال الذكور ولعب الأطفال الإناث مع ازدياد العمر ؛ ويرجع السبب فى ذلك إلى العوامل الاجتماعية وإلى ثقافة المجتمع وأساليب التربية والتنشئة الاجتماعية التى تضع قيوداً على الذكور والإناث وتتوقع منهم توقعات معينة.

٥ - يزداد النشاط الذهنى ويتناقص النشاط العضوى فى اللعب مع تقدم العمر ، فالطاقة التى كان يصرفها الطفل وهو صغير فى اللعب أصبح فى حاجة الآن إلى جزء كبير منها يتم تصريفه فى عملية النمو والنضج ، وبذلك تصبح ألعابه أكثر هدوءاً ، كما أن قدراته على التفكير أصبحت أكثر نضجاً ووضوحاً ، ولذلك فهو يهتم بمسائل التفكير المجرد .

ما الرأى فى اللعب : هل هو مضيعة للوقت ولذلك ينبغى الحد منه ؟

لقد توصل العلماء إلى أن لعب الصغار هو ما يمكن أن نطلق عليه عمل الكبار . فاللعب بالنسبة إلى الطفل هو نوع من العمل ،

ينمى ذاته من خلاله، ويسيطر على العالم بواسطته . ومن خلال استغراق الطفل فى اللعب يستطيع أن ينمى عقله وجسمه ويحقق التكامل بين الوظائف الاجتماعية والانفعالية والعقلية التى تتضمن أنماط التفكير وحل المشكلات وتنمية الخيال والتفكير العلمى . وتلعب التنشئة الوالدية الاجتماعية دوراً حاسماً فى تطور الطفل من خلال اللعب .

وتُعتبر فترة الطفولة المبكرة والمتوسطة (أى فترة ما قبل المدرسة) فترة مهمة جدا للنمو العقلى للطفل . ومن خلال اللعب يصل الطفل إلى تحقيق أقصى طاقات النضج النفسى والعقلى والبدنى . وفى اللعب يستطيع الطفل أن يكرر خبراته السابقة بهدف استيعابها وفهمها ، حتى تصبح جزءاً من شخصيته ، ويهيئ اللعب الطفل للتوافق فى المستقبل من خلال تعلمه للاستجابات الجديدة التى يقوم بها أثناء اللعب .

ليس اللعب إذن مضيعة للوقت ، ولكنه ضرورى فى عملية التنشئة الاجتماعية الوالدية لتنمية الطفل . والآباء الذين يحرمون أطفالهم من اللعب، سواء فى البيت أو خارجه ، إنما يحرمونهم من حاجاتهم الأساسية الضرورية لنموهم . فعن طريق اللعب

يكتشف الطفل نفسه ويكتشف بيئته التى يعيش فيها .

ما الفوائد التى تعود على الطفل من ممارسة اللعب ؟

١ - اللعب الحركى والإيقاعى ضرورى لتنمية عضلات الطفل، وضرورى لتنمية مهارات الاكتشاف وتجميع الأشياء وفكها وتركيبها .

٢ - يفسح اللعب المجال للطفل كى يتعلم الكثير ، فمن خلال اللعب وأدواته المختلفة يتعرف الطفل الأشكال والألوان والأحجام ، وأنواع الملابس، ويتعلم مهارات الاكتشاف ، ومهارات التجميع والتصنيف ، كما يحصل على خبرات وافية لا يستطيع الحصول عليها من مصادر أخرى .

٣ - يتعلم الطفل من خلال اللعب إقامة علاقات اجتماعية جيدة مع الآخرين ، كما يتعلم كيفية التعامل معهم بنجاح ، وكذلك يتعلم أساليب التعاون مع الرفاق ومع الكبار ومع الأدوار التى يقومون بها .

٤ - يتعلم الطفل من خلال اللعب بعض القيم ومفاهيم الصواب والخطأ، ويتعلم بعض المعايير الخلقية ، كالعدل والصدق

والأمانة وضبط النفس وتحمُّل الهزيمة وتقبُّلها .

٥ - يعبر الطفل فى لعبه عن طاقاته البنَّاءة والخلاقة ، فهو فى لعبه يجرب الأفكار التى تدور فى رأسه ، ومن خلال لعب الأدوار ، ومن خلال الرسم ، يستطيع أن ينمى قدرته على الإبداع.

٦ - يكتشف الطفل عن طريق اللعب معارف كثيرة عن نفسه وعن ذاته، ويكتشف الحدود المختلفة لقدراته بالمقارنة بزملائه ، ويتعرف أيضًا مشكلاته وأساليب حلها .

٧ - وتبقى أهمية خاصة للعب ، فاللعب يعتبر أحد أساليب التنشئة الاجتماعية العلاجية ، ففى اللعب الحر يتمكن الطفل من التعبير عن مشكلاته وعن الإصابات النفسية التى يعانى منها ، وبالتالى يستطيع إخصائى العلاج النفسى أن يقدم المعونة العلاجية لمثل هذا الطفل . وقد أظهرت بعض البحوث أن الأطفال الذين يأتون من بيوت يُسمح لهم باللعب فيها يكونون أفضل من الأطفال الذين يأتون من بيوت تكثر فيها القيود والأوامر والنواهى.

أريد أن أقدم لطفلى لعبة .. هل هناك شروط خاصة لاختيار اللعبة ..وأيهما الأهم : شكلها .. أم ثمنها ؟

فى الحقيقة إن قيمة اللعبة بالنسبة إلى الطفل لا تكمن فى شكلها ولا فى ثمنها ، فتلك اعتبارات تهم الآباء وحدهم . أما الطفل فله اعتبارات أخرى يجب مراعاتها ، وهذه تتمثل فيما يأتى :

١- الأطفال يكتشفون العالم من خلال ألعابهم ، ويقومون بذلك باستخدام جميع الحواس ؛ ولذا يجب أن تكون لعب الأطفال الصغار ذات ألوان جذابة وأوزان خفيفة ، ويجب أن تكون من النوع الذى يمكن غسله وتنظيفه ، وذات أحجام كبيرة نسبيا حتى لا يبتلعها الطفل ، ويجب ألا تكون حادة الأطراف ؛ حتى لا تؤذى الطفل .

٢ – يجب أن تتناسب اللعبة مع عمر الطفل ؛ فاللعبة المعقدة لطفل صغير لن تؤدى الغرض التربوى ، فى حين أن لعبة بسيطة يسحبها أو يدفعها كما يشاء تكون أفضل من لعبة إلكترونية لا يستطيع الطفل أن يتعامل معها.

٣ – الألعاب المعقدة بدرجة أكبر من مستوى الطفل تسبب له

بعض الاضطراب الانفعالى ، فاللعبة الغالية مثلا والتى يجب أن يعتنى بها الطفل ويحافظ عليها قد لا تحقق أى هدف تربوى ، وبالتالى فإن اللعبة الرخيصة التى يلعب بها الطفل كما يشاء دون خوف عليها قد تكون أكثر فائدة للطفل.

٤ – يجب أن تعطى الألعاب للطفل ثقة بأن يقلد سلوك الكبار ، وبالتالى نجد أن اللعب التى تكون على شكل أدوات منزلية وآلات عمل أكثر فائدة من الألعاب التى لا ترتبط بحياة الطفل وبحياة الكبار .

وعلى ذلك فلابد من التدقيق عند اختيار لعبة الطفل ، مع ضرورة مراعاة جميع النقاط السابقة . وعلى الأب أو الأم أن يسأل كل منهما نفسه عدة أسئلة قبل شراء اللعبة :

هل هذه اللعبة من النوع الذى يستثير نشاط الطفل جسديا وصحيا وذات فائدة له ؟

هل هى من النوع الذى يشبع الحاجة الذى الاكتشاف والتحكم فى الأشياء ؟

هل هى من النوع الذى يشجع على تقليد سلوك الكبار وأساليب تفكيرهم؟

هل هى من النوع القابل للفك والتركيب حتى تفيد فى تنمية مهارات الطفل؟

إذا كانت الإجابة عن هذه الأسئلة بـ «نعم» فإن اللعبة ستكون ذات قيمة وفائدة فى تربية الطفل وتنميته وتنشئته .

الفصل الثامن
أسئلة الطفل

فى مرحلة الطفولة المبكرة تكثر أسئلة الأطفال للآباء والأمهات وهؤلاء قد يجيبون عن بعضها بإجابات مبهمة أو يتجاهلونها أو يتحيرون أمامها.

وهنا نجد أمامنا سؤالا مهما هو : إذا أردنا أن نحكم على طفل بأنه ذكى، فهل نحكم عليه من خلال إجاباته الصحيحة عن أسئلة الكبار ، أم نحكم عليه من خلال أسئلته الصعبة والمحرجة للكبار ؟

لاشك أن معظم الآباء يتيهون فخراً بأبنائهم عندما يتمكنون من الإجابة عن أسئلتهم بطريقة ذكية وتلقائية ، فذلك يعنى من وجهة نظرهم أن تنشئتهم الاجتماعية قد آتت ثمارها ، وأن أطفالهم قد اكتسبوا القدر الكافى من المعرفة بالحقائق والمعلومات. وعلى النقيض من ذلك نجد أن الآباء عادة ما يقابلون أسئلة الأطفال بغير اهتمام ولا اكتراث ، أو بالإجابة عنها بطريقة مبتسرة ومتسرعة دون تدقيق أو تأمل صحيح !

لماذا يهمل الكبار أسئلة الصغار؟

إن النظام التعليمى فى المجتمع يقوم ذكاء الطفل من خلال إجاباته عن أسئلة الكبار ، فى حين قد يهمل الكبار أسئلة الصغار! وترجع أسباب ذلك إلى ما يلى :

١ - يشعر الكبار بغرابة أسئلة الصغار أو بتفاهتها وعدم جدِّيتها ، وبالتالى لا يعيرونها اهتمامًا !

ومعنى ذلك أن الكبار يتجاهلون حقوق الصغار فى التساؤل ولا يؤدون واجبهم نحوهم ، متناسين أن الطفل يطرح سؤاله البسيط والساذج أحيانًا عن رغبة صادقة فى المعرفة أو اكتشاف العالم الذى يحيط به ، حيث يكون الدافع وراء ذلك مثيرات خارجية فى مواقف معينة ، هذا بالإضافة إلى الهدف النفسى المُلحّ، وهو رغبة الطفل فى استعادة توازنه النفسى بعد التوتر الذى ألم به فى هذه المواقف .

٢- إدراك الكبار لصعوبة السؤال الذى يطرحه الطفل ، خاصة عندما يكون السؤال مرتبطًا بجانب من جوانب المحرمات الاجتماعية والأخلاقية فى إطار ثقافى معين لا يسمح بتناول هذه

القضايا فى سنّ معينة . وحيرة الكبار أو عجزهم إزاء أسئلة الطفل هى مشكلة الكبار وليست مشكلة الصغار . ومن هنا وجب على الآباء أن يعدّوا أنفسهم إعداداً جيداً بطريقة تجعلهم قادرين على تقديم الإجابة السليمة عن أسئلة الطفل ، وذلك حتى لا يرسبوا فى الاختبار ويظهروا بالمظهر الذى لا يتوقعه الصغار منهم .

٣ – فى بعض الأحيان تتكرر أسئلة الأطفال ولا ينتظرون عنها أية إجابة ، وهذا ما قد يجعل الآباء يتجاهلون أسئلة الطفل فيما بعد .

ولو أدرك هؤلاء الآباء أهمية أسئلة الطفل من الناحية النفسية لكان موقفهم مختلفاً ، ولشجعوا الطفل على الاستمرار فى إلقاء الأسئلة .

٤ – بعض أسئلة الأطفال تكون ضمنية وغير مباشرة ، مما يجعل الآباء يؤثرون عدم الاهتمام بها أو التركيز عليها .

ما أضرار عدم الاهتمام بأسئلة الأطفال ؟

على الرغم من أن أسئلة الأطفال لا تلقى الاهتمام الكافى من

الآباء ، فإنها -على العكس من ذلك- لقيت الكثير من الاهتمام من الدارسين والمختصين، ولكن للأسف لم يحاول كثير من الآباء الاستفادة من نتائج البحوث والدراسات .

إن الأسرة التى لا تهتم بأسئلة الطفل تجعله يتنازل تدريجيا عن طرح أسئلته حتى إذا ما دخل المدرسة كان مطالبًا طوال الوقت بأن يجيب عن أسئلة معلميه ، ويتراجع من تلقاء نفسه عن طرح الأسئلة التى تعنُّ له ، كما أن بعض المدرسين يعملون جاهدين على كف أسئلة الأطفال ! فى حين أنهم يصرون على وضع الأطفال فى القوالب التى يقومون هم بصنعها لهم ! وتناسوا بكل أسف أن من حق هؤلاء الأطفال أن يفكروا بالطريقة التى تتفق مع أعمارهم ، والتى تحلو لهم ، وليس بالطريقة التى يفرضها عليهم الكبار .

لماذا يسأل الطفل كثيرًا ؟

تهدف أسئلة الطفل إلى تحقيق وظائف النمو الآتية :

١ – تحقيق الاتزان النفسى للطفل .

٢ – مساعدة الطفل على التفكير الاستدلالى ليتعرف البيئة

المحيطة به .

٣ - تعرف القيم الخلقية والسلوكية داخل إطار الثقافة فى المجتمع الذى يعيش فيه الطفل .

ماهو واجب الاباء نحو أسئلة الأبناء ؟

وفى هذا الصدد فإن على الآباء والأمهات أن يراعوا عدداً من القواعد التى يجب الالتزام بها نحو أسئلة الطفل :

١ - الوالدان اللذان يصغيان إلى أسئلة الطفل ينميان لديه الشعور بأنهما يشاركانه أفكاره وهمومه ، وأنهما يحترمان أفكاره ويقدرانها . وهذه المشاركة تحقق للطفل الإحساس بالتوازن النفسى ، وتعيد إليه الثقة بالنفس والاطمئنان . وهذا يؤدى إلى أن يدقق فى طرح السؤال وفى التتابع المنطقى فى مسار الحوار .

٢ - الوالدان اللذان يتحريان الصدق فى إجابتهما عن أسئلة الطفل ، أى الالتزام بالدقة العلمية الموضوعية ، وبلغة سهلة مبسطة، وفى إطار علمى صحيح ، مع المحافظة على المفردات التى تعود عليها الأطفال ، مع إضافة بعض المفردات الجديدة ؛ إنما

يساعدان الطفل على الثقة بهما ، وعلى التخلص من التوترات التى قد يعانى منها .

ومن المألوف أن يسأل الأطفال أسئلة تدور حول مسائل الجنس، وليس من الغريب أن يبحث الطفل عن أسباب حياته ومقوماتها ، بل العكس هو الغريب والشاذ . وقد أصبحت هذه الأسئلة شائعة ومألوفة . وصدق الإجابة عن هذه الأسئلة فى إطار الثروة اللغوية للطفل يعنى فى نهاية الأمر تحقيق الاستقرار النفسى والتوازن والإحساس بالأمن .

٣ – من الضرورى للآباء أن يعالجوا دوافع الأطفال الناشئة من سياق الموقف الذى يعيشون فيه . أما الطفل الذى يشعر بالقلق والخوف بسبب مولد أخ جديد فى الأسرة فيسأل من أين يأتى الأطفال ؟ لا يمكن أن تحل مشكلته لمجرد الإجابة العلمية ؛ ذلك أنه فى حاجة إلى معالجة الدافع الحقيقى الذى دفعه إلى طرح السؤال والاهتمام به اهتماماً خاصا .

إن حرمان الطفل من حق طرح الأسئلة ، ومن حق الاستماع إلى إجابة عنها ، إن دل على شىء فإنما يدل على أن التنشئة الاجتماعية الوالدية لا تؤدى دورها ، ولا تحقق أهدافها ؛ إذ إنها

فى مثل هذه الحالة تعمل على تدمير عقل الطفل والوقوف فى طريق نموه كإنسان يتعايش مع مكونات مجتمع معين ، إذ كيف يمكن لنا أن نتوقع اكتشاف الطفل لذاته وفهمه لمجتمعه وشعوره بالانتماء إليه دون أن نفتح له القلب والعقل بالإجابة عن كل أسئلته وعن كل ما يدور فى ذهنه من تساؤلات مهما تكن بسيطة وساذجة .

رقم الإيداع : ٥٥٥٠/٩٤
الترقيم الدولى : 977-261-329-8

أبناؤنا... سلسلة سفير التربوية

سلسلة تهدف إلى تعريف الاباء والمربين بالمشاكل التى تواجه الأطفال ، وكيفية التغلب عليها من الناحية العلمية والتطبيقية ، وذلك بطرح القضايا والموضوعات التى تهم كل مرب ومناقشتها بموضوعية وأمانة فى ضوء المنهج الإسلامي دون افتعال .

كما تقوم السلسلة بعرض نماذج لمشكلات حقيقية من واقع الحياة ، ومعالجتها فى إطار ماورد فى النظريات التربوية والنفسية والإجتماعية بما يعين المربى المسلم على تنشئة أجيال مسلمة .



31

1

سفير ٥ ش جزيرة العرب – المهندسين – القاهرة ت : ٣٣٥٢٧١١–٣٣٥٢٧١٢– فاكس : ٣٤٨٠٢٩٩ ص.ب:٤٢٥ الدقي